المصـــــدر : اليوم
التـــاريخ : 24-07-2006
الصفحـات : 11
العـــدد : 12092
المسلسل : 69

الشريفين مقاليد الحكم في المملكة

الملك الصالح يدين التصنيفات الفكرية للمواطنين... ويرفض التمييز

يركز دائما على وسطية الإسلام.. ويؤكد على تعاليم الشريعة

المصدر : اليوم
التاريخ : 24-07-2006 العدد : 12092
الصفحات : 11 المسلسل : 69

يحمل خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز من التطلعات ما يتجاوز الأداء العملي لشخصية الحاكم التقليدي إذ ينطلق - حفظه الله - من فكرة تنمية شاملة يعلم أن ركيزتها الأولى تتمثل في الإنسان معرفة ورخاء وفكراً وثقافة، وبالتالي فالقيم الثقافية والفكرية من أبرز الأساسات التي تسهم في صناعة أرضية وطنية، وكلما كان الكيان متعدداً مكن ذلك استثمار حالة التعدد وتحويلها إلى قوة، والانطلاق بها لمواجهة الاستحقاقات العالمية والدولية، في عالم لا مكان فيه للخامل ولا للضيف ولا للواقف موقف التأثر والاستقبال فقط، ومن هنا تحمل كثير من الكلمات والأحاديث لخادم الحرمين مواقف ورؤى ثقافية تبسط الموقف الحالي والمأمول وتمثل حالة من الانفتاح الواعي والتواصل المشروط مع العالم ودعوات لقيام مشترك إنساني تغيب فيه الصدامات وتحضر فيه أفكار التعايش والتسامح.

الانفتاح المسؤول:

يقول خادم الحرمين الملك عبدالله: «اننا لا نستطيع أن نبقى جامدين والعالم من حولنا يتغير ومن هنا سوف نستمر بإذن الله في عملية التطوير وتعميق الحوار الوطني وتحرير الاقتصاد ومحاربة الفساد والقضاء على الروتين ورفع كفاءة العمل الحكومي والاستعانة بجهود كل المخلصين العاملين من رجال ونساء وهذا كله في اطار التدرج المعتدل المتمشي مع رغبات المجتمع المنسجم مع الشريعة الإسلامية».

ربما تختصر هذه الكلمات جزءا من الرؤية الثقافية والتعايشية التي ينظر بها خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز لحركة العالم ولموقعنا من هذه الحركة، ذلك أن الارتباط بالعالم لا يعني فقط التأثر به، وإنما الخروج من حالة الاستقبال والتأثر السلبي إلى حالة التأثير في تلك الحركة وهذا لن يتأتى كما يقول حفظه الله بالبقاء في حالة جمود، ويبدو من هذه العبارات وعيه بأن مغادرة البقاء والركود لا تكون بالمواقف القولية فقط، ولا بالسعي التقليدي إلى ذلك بل تحتاج إلى إقامة قيم عمل من أبرزها ما جاء في حديثه حفظه الله، من سعي إلى تطوير الحوار الوطني، وهنا تظهر نقطة واعية تنطلق من أن تواصل أي كيان مع العالم يحتاج بالدرجة الأولى أن يكون هذا الكيان كيانا متصلا ومتسقا ومتعايشا وقائما على تحويل اختلافاته الطبيعية لتصبح عنصر قوة وتعدد بدل كونها عنصر فرقة وتخالف، ويعلم خادم الحرمين أن الحاجة للتواصل مع العالم تنطلق أولا من وجود كيان قوي في الداخل وهذا لن يتم إلا بالنقاط التي حملتها الكلمة ومن أبرزها حديثه عن تحرير الاقتصاد ومحاربة الفساد والقضاء على الروتين ذلك أن مثل هذه العوائق من شأنها أن تمثل عوامل تثبيط وركود والخلاص منها هو الخطوة الأولى باتجاه كيان قوي من الداخل يمكن له مواجهة الخارج.

يدرك خادم الحرمين الشريفين حفظه الله بأن المجتمعات لها سنن وموروثات وتقاليد فيها ما هو صواب وفيها ما لا أصل له في دين ولا شرع، وهذه التقاليد غالبا ما يمثل القفز فوقها نوعا من الصدمة لتلك المجتمعات مما يجعل التدرج المعتدل هو السبيل الأمثل للارتقاء بالمجتمعات مع الحفاظ على ما تؤمن به من قيم وأفكار وخاصة تلك القابلة منها للتطور والتقدم.

رسم طريق المستقبل:

وفي معرض آخر يقول حفظه الله: «إن على المثقفين والمفكرين مسئولية خاصة في رسم طريق المستقبل أمام الأمة وتشخيص ما تعاني منه واقتراح ما تحتاج إليه من حلول ولعلكم تشاركونني الرأي أن وحدة الأمة العربية والإسلامية هي حجر الأساس في مشروع النهضة والعزة والوفاء». وبالعودة إلى تاريخ مهرجان الجنادرية يظهر بوضوح حجم إيمانه بدور المثقفين في حركة الأمة، فقد تبنى المهرجان كثيرا من المحاور والندوات التي دارت حول تعميق وتوضيح الكثير من المسائل الثقافية التي تهم الأمة وتعد من أبرز وأعقد ملفاتها، ويشير خادم الحرمين هنا إلى دور المثقف في تشخيص ما تعاني منه الأمة ذلك أن الفكر والثقافة والنظرية المعرفية هي العنصر الأول في تلمس وحل كثير من القضايا من خلال توصيفها وتشخيصها.

بناء الحضارات والتعايش السلمي:

وعن موقفه من فكرة (صراع الحضارات) التي تمثل إحدى أبرز النظريات الثقافية المعاصرة والتي تدفع باتجاه ترسيخ كثير من حالات العداء التي جرت دولاً ومناطق وثقافات إلى مواجهات كان بالإمكان تجنبها يقول خادم الحرمين:

«إنني أدين فكرة الصدام بين الحضارات وأدعو إلى أن تحل محلها فكرة التعايش السلمي البناء بين الحضارات وأدعو أمامكم إلى أن تكون المرحلة القادمة في العلاقات بين الدول والأمم مرحلة حوار حقيقي يحترم كل طرف فيه الطرف الآخر ويحترم مقدساته وعقائده وهويته وسوف تكونون أنتم إن شاء الله في طليعة المتحدثين باسم الأمة العربية والإسلامية في هذا الحوار».

ويظهر من العبارة أنها ليست رفضاً مجرداً وإنما رفض مع إقامة البديل، وهو فكرة التعايش السلمي، وفي هذا الطرح نوع من التركيز على الممكنات العالمية التي يمكن أن تساعد العالم فيما لو نهضت هذه الفكرة وتحولت إلى هدف عالمي فإنها ستسهم في إطفاء كثير من النظريات التي تؤطر للحروب وتشرعها، ذلك أن الإيمان بمنطق الصراع هو استعداد مسبق لهذا الصراع، فيما يمثل التعايش والإيمان به طريقاً نحو إقامة كل ما من شأنه أن يسهم في هذا التعايش ويدفع باتجاه عالم متعايش.

محاربة الإرهاب:

ربما كان الإرهاب وأفكاره وأدبياته أبرز الإساءات التي يتعرض لها الدين الإسلامي، حيث يمثل التطرف صوتا يسعى إلى إخفاء الصورة الحضارية والمنفتحة والوسطية للإسلام مقابل ترويج صور فجة لا علاقة لها بروح الإسلام، وفي هذا الصدد يقول خادم الحرمين:

«إن الوحدة الإسلامية لن يحققها سفك الدماء كما يزعم المارقون بضلالهم فالغلو والتطرف والتكفير لا يمكن له أن ينبت في أرض خصبة بروح التسامح ونشر الاعتدال والوسطية وهنا يأتي دور مجمع الفقه الإسلامي في تشكيله الجديد ليتصدى لدوره التاريخي ومسؤوليته في مقاومة الفكر المتطرف بكل أشكاله وأطيافه كما أن منهجية التدرج هي طريق النجاح الذي يبدأ بالتشاور في كل شؤون حياتنا السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية للوصول إلى مرحلة

المصدر : اليوم
التاريخ : 24-07-2006 العدد : 12092
الصفحات : 11 المسلسل : 69

التضامن بإذن الله وصولا إلى الوحدة الحقيقية الفاعلة المتمثلة في مؤسسات تعيد للأمة مكانها في معادلات القوة». وفي هذا الرأي إشارات عديدة من أبرزها أن كل الأدبيات والأفكار التي يطلقها المتطرفون، وما يعلقونه من أهداف يروون أنهم يسعون إليها من خلال جرائمهم هي نوع من العبث والتوجه بأدوات سلبية نحو قضايا ظاهرها إيجابي، فإقامة العدل والدفاع عن الحقوق كلها أفكار مشروعة لكن الإساءة إليها وتحويلها عن مسارها تحدث حين يتم تبني تلك القضايا تبنياً مقلوباً والانحراف بها عن مسارها، فسفك الدماء والإجرام وترويع الآمنين كلها وسائل لا تنتج أي غرض نبيل، بل تكشف كل هذه الأحداث حالة من الخطأ الفكري، والخروج عن سنة الحياة، فلا يمكن أن يكون الإجرام طريقا للخير.

ويعلن خادم الحرمين الشريفين باستمرار عداءه الدائم والمستمر للتطرف والتكفير، وهو الموقف الذي يظهر واضحا وجليا في كثير من مواقفه وكلماته، ويوضح كذلك أن أبرز مواجهة لحالات التطرف والتشدد هي عن طريق إقامة وبث ونشر خطاب ديني متسامح ينشر الاعتدال والوسطية، ويتوجه خادم الحرمين بكلمته تلك إلى مجمع الفقه الإسلامي، وهو توجيه في موقع الصائب والأمثل ذلك أن تلك التجمعات الفقهية هي المعنية بصناعة خطاب فقهي حيوي ومسالم، يتصدى للفكر المتطرف بكل أشكاله وأطيافه.

رفض تصنيفات المواطنين:

ويقف خادم الحرمين الشريفين في مواقف كثيرة موقف الباحث عن حالة من الاستقرار الثقافي والفكري لما تمثله من أهمية في ترتيب وتخليص كل كيان من حالات التناحر المفتعلة والمصطنعة وذلك باتجاه إيجاد كيان فكري غني بتعدديته لا منشغل باختلافاته، وقد لخص هذا الموقف في كلمته التي ألقاها في حفل أهالي القصيم الذي أقيم احتفاء بزيارته حيث قال:

«سبق لي أن قلت وأكرر أمامكم الآن أن هناك أمرين لا يمكن التساهل فيهما وهما شريعتنا الإسلامية ووحدة هذا الوطن.. وأصارحكم القول إنني أرى أنه لا يتناسب مع قواعد الشريعة السمحة ولا مع متطلبات الوحدة الوطنية أن يقوم البعض بجهل أو بسوء نية بتقسيم المواطنين إلى تصنيفات ما أنزل الله بها من سلطان.. فهذا علماني.. وهذا ليبرالي.. وهذا منافق.. وهذا إسلامي متطرف.. وغيرها من التسميات.. والحقيقة هي أن الجميع مخلصون (إن شاء الله) لا نشك في عقيدة أحد أو وطنيته حتى يثبت بالدليل القاطع أن هناك ما يدعو للشك لا سمح الله».

وبدءاً من الجملة الأولى، فالواضح أن موقف خادم الحرمين هو حفاظ ودفاع عن القيم العظيمة والتي ذكرها وهي شريعتنا الإسلامية ووحدتنا الوطنية، ذلك أن المهددات الفكرية والنظرية لهاتين القيمتين ربما كانت أكثر من غيرها، ذلك أن صناعة التحزبات الجانبية، وتحويل المواطنين إلى كتل نظرية تدين كل منها الأخرى، وترى كل واحدة في الأخرى خطأً مطلقا فيما هي تمثل الصواب، وترى فيها خطراً تسعى هي لدفعه، هذا الحالات بالتأكيد أنها تمثل أكبر تهديد للروح التآلف التي جاءت بها الشريعة الإسلامية، وتشكل تهديدا كبيرا للوحدة الوطنية، إذ إن مثل هذه التقسيمات والتصنيفات إنما تقوم بتغييب عامل الوحدة الأبرز بين كل المواطنين باختلاف توجهاتهم وأفكارهم ومعارفهم ومناطقهم، الذي يجب أن تتراجع أمامه كل مظاهر الاختلاف، ويتم التركيز على هذا المشترك الكبير الذي جاء نتيجة الوحدة العظيمة التي حولت المتفرق إلى واحد والشتات إلى وحدة، وهو المنجز والمكتسب الأبرز الذي لا يمكن التساهل فيه أو التفريط في مكاسبه، واتخاذ خادم الحرمين الشريفين لهاتين القيمتين كمدخل لموقفه الذي جاء لاحقاً هو نوع من بسط أرضية معنوية ونظرية تمنح ما سيقوله مبرراً معنوياً، من خلال إمساكه في كلمته بأبرز مهددات الوطنية الوحدة ثقافياً وفكرياً، تلك المهددات التي تدل تجارب كثيرة في ثقافات وبلدان مختلفة على أنه كانت طريقا لشقاق واختلاف طويل.

وجه الوسطية والاعتدال:

تشير خطابات خادم الحرمين الشريفين إلى وعي ويقين بأن الوعي الثقافي والفكري هو أول وأبرز خصوم الإرهاب والتطرف، وأن الخطابات الثقافية هي الموكلة والقادرة على التمييز بين الخطابات المطروحة في العالم الآن، والقادرة على رفد الحركة الإصلاحية في كل مكان، وفيما تقدمه أصوات التطرف والتشدد من رؤى وأفكار تنتشر في العالم وتسوق نفسها على أنها هي الصواب والحقيقة ما يستدعي حضورا قويا وواسعا ومكثفا للمثقفين والمفكرين فهم الأقدر على مواجهة هذا المد، والأقدر على إيضاح أن كل ما يقدم من إرهاب وعنف لا يمثل الانعكاس الحقيقي للتاريخ الإسلامي ولا للفكر الإسلامي، وفي ذلك جاءت إحدى كلمات خادم الحرمين الشريفين حيث يقول:

«في هذه الظروف التي تتعرض لها الأمة لهجوم يستهدف شريعتنا ورموزها وفكرها يصبح من واجب أبنائها ومفكريها على وجه الخصوص أن يبرزوا الوجه الحقيقي للأمة وجه التسامح والعادلة والوسطية وأن يوضحوا للعالم كله أن ما تقوم به قلة قليلة من المتطرفين المتعصبين لا يعكس روح الأمة ولا تراثها ولا أصالتها بقدرما يعكس الأوهام المدمرة التي تسكن عقول هؤلاء المجرمين».

ويستثمر خادم الحرمين الشريفين كثيرا من المواقف واللقاءات لإيضاح تصوره الذي يقوم على الفصل الدائم والمنطقي بين روح الإسلام، وما يلحقه بعض المتطرفين من أفكار وآراء تخرج بالفكرة الإسلامية عن سياقها الحقيقي والوسطي، وفي أحد لقاءاته بمثقفين ومفكرين يقول خادم الحرمين في مناسبة احتفال جامعي عالي:

(تعلمون جميعاً أن الرسالة الإسلامية جاءت رحمة للعالمين وأن روح الإسلام حملت كل معاني الرفق والرحمة والمحبة والمواساة وتمثلت في هذه القيم في تعامل كل مسلم صادق مع ربه إلا أن البعض تمادى في غلوه وتطرفه إلى حد الإجرام وسفك الدماء والإسلام بريء منهم ومن أفعالهم الإجرامية البشعة ولا شك أن رسالة الجامعة التي تضمنت السعي إلى غرس التكامل النوعي بين الإيمان والعلم والأخلاق في النفوس مسؤولية كبيرة وانتم أهل لها في وقت اختلطت فيه المفاهيم واختلفت فيه المعايير).

تقيم هذه العبارات موقفاً وسط ما قد يظهر لدى البعض من شعور بالتعارض بين العلم والمعرفة وبين كثير من الأفكار الدينية، إذ يؤكد بأن الجامعات، والجامعات الإسلامية تحديدا لا يمكن أن يكون دورها هو السعي إلى توسيع ذلك الخلاف والابتعاد عن العلم تخوفا من تعارضه مع الإيمان، ويشير خادم الحرمين هنا إلى نوع التكامل بين الطرفين، فيصفه بأنه تكامل نوعي، ونوعيته هذه تأتي انطلاقا من أفكار الإيمان ومدلولاته هي السبيل الأبرز لقبول العلم والسعي باتجاه إيجاد معارف متطورة منطلقة من الإيمان بأن الله يفتح ويسهل للإنسان طرق العلم والمعرفة، وهي ما يستدعي بقية العناصر والقيم الأخرى ومن أهمها القيمة الأخلاقية التي يجب أن تظل حاضرة في الحركة العلمية لما يمثله غيابها من تحويل العلم عن مساره الأخلاقي الباحث عن الفائدة الإنسانية إلى حالة من الانفلات غير الأخلاقي. وفي معرض آخر، وفي حديث مماثل لخادم الحرمين الشريفين جاء فيه:

«إنني أتطلع إلى أمة إسلامية موحدة وحكم يقضي على الظلم والقهر وتنمية مسلمة شاملة تهدف للقضاء على العوز والفقر كما أتطلع إلى انتشار الوسطية التي تجسد سماحة الإسلام وأتطلع إلى مخترعين وصناعيين مسلمين وتقنية مسلمة متقدمة».

بداية هذه المقولة تبعها ما يمثل عوامل ومبررات يمكن لها أن تسهم في صناعة ذلك التطلع، فتطلعه حفظه الله إلى أمة إسلامية موحدة، يقتضي لوازم عديدة وقيما متعددة، من أبرزها: حكم يقضي على الظلم، تنمية إسلامية شاملة، خطاب ينشر الوسطية التي تجسد سماحة الإسلام، حركة علمية وصناعية وتقنية عربية. وكل هذه الصفات هي التي تمثل مواطن النقص والحاجة في الثقافة الإسلامية، فمازالت كثير من الأنظمة الحاكمة تفتقد بشكل واسع إلى فاعلية حكومية تقضي على الظلم والقهر، ومازالت التنمية الإسلامية والعربية تعيش حالة من الاستهلاك لم تخرج معها بعد إلى حالة المشاركة والتطوير، وهي حالات تستلزم موقفا ثقافيا وفكريا بالدرجة الأولى يؤمن بالقيم التي تعين على التعايش وتسمح به، وتحض عليه، وهذه القيم تتلخص في نشر واعتماد خطاب إسلامي وسطي وهو ما سيأخذ في وعيه موقف الإنسان ومكانته في الحياة وعمارة الأرض وهذا ما سيدفعه إلى مزيد من التطوير والبحث في مختلف العلوم.. يلاحظ من المواقف والكلمات السابقة لخادم الحرمين الشريفين أنها تنطلق من هم إسلامي يقف على أبرز مفاصل الأزمة الإسلامية المتمثلة في كونها أزمة خطاب، ومتى ما خرج ذلك الخطاب من حالاته المتشددة واتجه إلى حالات وسطية واعية استطاع بذلك أن ينجز من التقدم والتعايش والالتحام مع العالم ما يخرجه من حالاته السلبية إلى حالات أمثل وأكثر ارتباطا وتأثيرا في العالم. كذلك فإن عنصراً بارزاً في مواقف خادم الحرمين وهو حرصه الدائم على وضع خطوط فاصلة تمايز بين الصورة الفعلية المتسامحة والوسطية للإسلام، وبين ما ألحقه به المتطرفون والمتشددون من تحويل هذا الدين العظيم إلى صورة حرب وعداء مطلق، فيما هو دين السماحة والقبول والتعايش. في أحاديث خادم الحرمين حركة باتجاه تفكير يتلازم فيه الشعبي بالنخبوي، ويتلازم فيه الهم الداخلي للوطن والإنسان السعودي مع الهم العالمي للأمة ولشخصيتها الثقافية والتاريخية.